باب

ذكر الهجرة[1] إلى المدينة*

فلما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله ﷺ ليلة العقبة ، وكانت سِرًّا ، على كفار قومهم وكفار قريش أمر رسول الله ﷺ مَنْ كان معه من المسلمين بالهجرة إلى المدينة أرْسالا[2] ، فقيل : أول[3] مَنْ خرج أبو سَلَمة بن عبد الأسد المخزومى وحُبِسَتْ عنه امرأته أم سَلَمة بنت

---

(١) انظر فى الهجرة إلى المدينة ابن هشام ١١٢/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٢ وما بعدها وصحيح البخارى ٥٦/٥ والطبرى ٣٦٩/٢ وابن حزم ص ٨٥ وابن سيد الناس ١٧٣/١ وابن كثير ١٦٨/٣ والحويرى ٣٢١/١٦ والسيرة الحلبية ٥٤/٢ .

* يقال إن المدينة مذكورة فى التوراة بطابة . قال : أوحى الله إلى طابة : يا طابة يا مسكينة لا تقبلى الكنور فإنى أرفع أجاجيرك (سطوحك) على أجاجير القرى . وهى المُدْخل الصدق فى كتاب الله تعالى ، قال الله سبحانه : (وقُلْ رَبِّ أدْخِلْنى مُدْخَلَ صدق وأخْرِجْنى مُخْرَجَ صدق واجْعَل لى من لدنك سلطاناً نصيراً) . المخرج الصدق : مكة ، والمدخل الصدق : المدينة ، والسلطان النصير : الأنصار . وفيه دليل واضح على تفضيل المدينة ، لأن الله ابتدأ بها ، وكان القياس أن يبتدئ بمكة ، لأنه خرج منها قبل أن يدخل المدينة ، وأيضاً فالمدينة جعل له سلطاناً نصيراً ، وأيضاً فيأبى الله إلا أن ينقل نبيه إلا إلى ما هو خير . قلت : واختلف العلماء فى حكم الهجرة حينئذ وكيف كان ؟ فقيل : كانت الهجرة شرطاً فى الإسلام ، فمن لم يهاجر ولا عذر له ومات على ذلك مات كافراً . وقيل : بل كانت واجبة مؤكدة من قواعد الدين . ثم اختلفوا فى حكمها على من وجبت عليه أولا هل استمر بعد الفتح أو لا ؟ ولا خفاء فى أن غير المهاجرين الأولين لم يخاطبوا بالهجرة بعد الفتح ، وفيهم جاء الحديث : لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد . وظاهر قوله تعالى : (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا) أن الهجرة كانت شرطاً فى الإسلام ، وهو ظاهر قوله عليه السلام : ولكن البائس سعد بن خولة [من المهاجرين وقد شهد مع الرسول سائر المشاهد وتوفى بمكة فى حجة الوداع ، وقد وصفه الرسول بالبائس لأنه مات فى الأرض التى هاجر منها] يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة .

وقد استرسل المعلق هنا يقول :

وإطلاق البؤس عليه بعد الموت يدل على أن الخاتمة لم تكن على الإسلام لأن المسلم لا يؤس عليه إن شاء الله ولا سيما بؤس يسبق له فيه اسم والله أعلم .

وهو غلط واضح فى الاستنتاج ، لأن سعدًا كان من المسلمين الأولين ، وممن هاجروا إلى الحبشة ، وشهد بدراً وغيرها من المشاهد . وإنما تعلق به البؤس لأنه لم يمت فى دار هجرته ، ويدل على ذلك قوله ﷺ : اللهم أمض لأصحابى هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . وانظر الاستيعاب ص ٥٦٦ .

(٢) أرسالا : جماعات .

(٣) وفى بعض الروايات أن أول المهاجرين مصعب بن عمير .

٢٩ و أبى أُمية بمكة نحو سنة ، ثم أُذِنَ لها فى اللِّحاق بزوجها فانطلقت/مهاجرة وشيعها عثمان بن طلحة بن أبى طلحة وهو كافر[١] إلى المدينة . ونزل أبو سَلَمة فى قُباء[٢] .

ثم عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم ، وهى أول ظعِينة[٣] دخلت من المهاجرات إلى المدينة .

ثم عبد الله بن جَحْش ، وأخوه أبو أحمد بن جحش الشاعر الأعمى ، وأمهما وأم إخوتهما أُمَيْمَة بنت عبد المطلب . وهاجر جميع بنى جحش بنسائهم ، فعَدا أبو سفيان على دارهم فتملَّكها إذ خلت منهم . وكانت الفارعة بنت أبى سفيان بن حرب تحت أبى أحمد ابن جحش .

فنزل هؤلاء الأربعة : أبو سلمة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله وأبو أحمد ابنا جحش ، على مبشِّر بن عبد المنذر بن زَنْبر فى بنى عمرو بن عوف بقُباء . وهاجر مع بنى جحش جماعة من بنى أسد بن خُزَيمة بنسائهم ، منهم عُكَاشة بن مِحْصَن ، وعُقبة وشجاع ابنا وهب ، وأربد بن حُمَيِّر[٤] ، ومنقذ بن نُباتة ، وسعيد بن رُقَيْش وأخوه يزيد بن رقيش ، ومُحْرز بن نَضْلة ، وقيس بن جابر ، وعمرو بن مِحْصن ، ومالك[٥] بن عمرو ، وصفوان بن عمرو ، وثَقْف بن عمرو ، وربيعة بن أكْثَم ، والزُّبير بن عبيدة ، وتَمَّام بن عبيدة ، وسَخْبرة بن عبيدة ، ومحمد بن عبد الله بن جحش ، ومن نسائهم زينب بنت[٦] جَحْش ، وحَمْنة بنت جَحْش ، وأم حبيب[٧] بنت جحش ،

---

(١) يروى عن أم سلمة أنها كانت تقول : ما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة .

(٢) فى ابن سيد الناس ١/١٨٠ : قباء مسكن بنى عمرو بن عوف على فرسخ من المدينة ، ويمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف .

(٣) الظعينة : المرأة فى الهودج .

(٤) فى ابن هشام : حميرة بالحاء وقيل جميرة بالجيم ، وفى ابن سعد : حمير ، وتابعه ابن عبد البر هنا وفى ترجمته له بالاستيعاب .

(٥) هكذا فى ابن هشام والمراجع المختلفة وفى الأصل ور : خالد .

(٦) هى أم المؤمنين . وكانت أولا عند زيد بن حارثة ، ثم اقترن بها بعده الرسول .

(٧) واضح أن ابن عبد البر جعل لزينب أختين ، هما حمنة وأم حبيب أو حبيبة ، وتابعه فى ذلك السهيلى قائلا إن حمنة كانت تحت مصعب بن عمير ، وكانت أم حبيب تحت عبد الرحمن بن عوف . وعند ابن عساكر أن حمنة كانت تكنى بأم حبيبة لا أم حبيب ، أى أنها فقط زينب وحمنة أم حبيبة .

وجُدامة[١] بنت جَنْدل ، وأم قيس بنت مِحْصن ، وأم/حبيبة بنت نُباتة ، وأُمامة[٢] بنت رُقَيْش . ٢٩ ظ

ثم خَرَج[٣] عمر بن الخطاب وعيَّاش بن أبى ربيعة فى عشرين راكباً ، فقدموا المدينة ، فنزلوا فى العوالى فى بنى أُمية بن زيد . وكان يُصَلِّى بهم سالم مولى أبى حُذَيفة وكان أكثرهم قرآناً . وكان هشام بن العاص بن وائل قد أسلم ، وواعد عمر بن الخطاب أن يهاجر معه ، وقال : تجدنى أو أجدك عند أَضاة[٤] بنى غِفار ، فقطن لهشام قومه ، فحبسوه عن الهجرة ، ثم إن أبا جهل والحارث بن هشام أتيا المدينة[٥] ، فكلَّما عياش بن أبى ربيعة ، وكان أخاهما لأمهما وابن عمهما ، وأخبراه : أن أمه قد نذرت أن لا تغسل رأسها ولا تستظلَّ حتى تراه ، فرقَّت نفسه وصدَّقهما وخرج راجعاً معهما فكتَّفاه فى الطريق ، وبلَّغاه[٦] مكة ، فحبساه بها مسجوناً ، إلى أن خلَّصه الله بعد ذلك بدعاء رسول ﷺ له فى قنوت الصلاة : اللهم أَنْج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمُسْتَضْعفِينَ من المؤمنين ، اللهم اشدد وطْأَتك على مُضَر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف . ثم استنقذ الله عياش بن أبى ربيعة وسائرهم وهاجر إلى المدينة .

وكان من جملة القادمين مع عمر بن الخطاب أخوه زيد بن الخطاب ، وسعيد بن زيد ابن عمرو بن نُفَيل ، وعمرو وعبد الله ابنا سُراقة بن المعتمر ، وكلهم من بنى عَدِىّ بن كعب ، وواقد/بن عبد الله التميمىّ[٧] ، وخَوْلِىّ ومالك ابنا أبى[٨] خَوْلِىّ من بنى عِجْل بن لَجيْم حُلَفاء بنى عدى بن كعب ، وإياس وعاقل وعامر وخالد بنو البُكَيْر اللَّيْثى[٩] حلفاء ٣٠ و

---

(١) استظهر السهيلى أن تكون جدامة بنت وهب بن محصن . انظر الروض الأنف ١/٢٨٧ .

(٢) فى ابن سيد الناس وأكثر المصادر : أمينة .

(٣) نقل ابن سيد الناس فى ١/١٧٤ هذه الفقرة عن ابن عبد البر .

(٤) كلمة الأضاة تمد وتقصر وهى الغدير ، وكانت أضاة بنى غفار خارج مكة على بعد بضعة أميال منها .

(٥) عند بعض أهل السير أنه كان معهما العاص بن هشام .

(٦) هكذا فى الأصل ، وفى ابن سيد الناس وبلغا به .

(٧) هكذا فى ابن هشام وغيره ، وهو يتطابق مع ما ذكره ابن عبد البر فى حديثه عن أول الناس إيماناً بالرسول وفى ترجمته بكتابه الاستيعاب وفى الأصل و ر : التيمى .

(٨) اسم أبى خولى عمرو بن زهير ، وقيل إنه جعفى لا عجلى .

(٩) الليثى : أى من بنى سعد بن الليث .

بنى عدى بن كعب ، وخُنَيْس بن حُذافة السَّهْمى وزوجته حفصة بنت عمر بن الخطاب . نزلوا بقُباء على رفاعة بن عبد المنذر فى بنى عمرو بن عوف .

ثم قدم طَلحة بن عُبَيْد الله ، فنزل هو وصُهيب بن سِنان على خُبَيْب بن إساف [١] فى بنى الحارث بن الخزرج [٢] ، ويقال : بل نزل طلحة على أبى أُمامة أسعد بن زرارة . وكان صُهَيْب ذا مال ، فاتبعته قريش ليقتلوه ويأخذوا ماله ، فلما أشرفوا عليه ونظر منهم ونظروا إليه قال لهم : قد تعلمون أنى من أرماكم رجلا ، ووالله لا تصلون إلى أو يموت منكم من شاء الله أن يموت ، قالوا : فاترك مالك . وانهض . قال : مالى خلّفته بمكة . وأنا أعطيكم أمارة فتأخذونه ، فعلموا صدقه ، وانصرفوا عنه إلى مكة بما أعطاهم من الأمارة ، فأخذوا ماله ، فنزلت فيه : (ومن الناس مَنْ يَشْرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رءُوفٌ بالعباد – الآية) .

ونزل حمزة بن عبد المطلب وحليفاه : أبو مَرْثد الغنوى ، وابنه مَرْثد بن أبى مرثد ، وزيد بن حارثة وأَنَسة [٣] وأبو كبشة [٤] موالى رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم/أخى ٣٠ ظ
بنى عمرو بن عوف بقباء . ويقال : بل نزلوا على سعْد بن خَيْثمة ، وقيل : إن حمزة نزل على أبى أمامة أسعد بن زُرارة .

ونزل عبيدة ، والطُّفَيْل والحُصَيْن ، بنو الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، ومِسْطَح [٥] بن أُثاثة بن عباد بن المطلب ، وسُوَيْبط بن سعد بن حَرْملة [٦] العَبْدرىّ ، وطُلَيْب بن عمير من بنى عبد بن قصى ، وخبّاب بن الأرتّ مولى عتبة بن غزوان [٧] ، على عبد الله بن سلمة العَجْلانى بقُباء .

---

(١) فى الاستيعاب ص ١٦٨ : يقال فيه يساف بالياء . وله يكن خبيب مسلماً حين نزل عليه طلحة وصهيب وقد تأخر فى إسلامه إلى أن خرج الرسول إلى غزوة بدر فلحقه فى الطريق وأسلم وشهد بدرا وسائر المشاهد . وقد قتل أمية ابن خلف يوم بدر فيما ذكر الرواة

(٢) فى ابن هشام أن بنى الحارث بن الخزرج كانوا ينزلون فى السنح . وهو أطم أو حصن هم كان على مسافة ميل من المسجد النبوى .

(٣) من مولدى السراة ، شهد مع الرسول ﷺ سائر المشاهد وتوفى فى خلافة أبى بكر .

(٤) يقال إن أصله من الفرس ، وله بلاء حسن مع الرسول فى المشاهد كلها . مات فى خلافة عمر .

(٥) هكذا فى ر و ابن هشام وجميع المصادر . وفى الأصل : مسلم . وهو تصحيف .

(٦) هكذا فى الأصل والاستيعاب ص ٥٩٩ وفى ابن هشام : حريملة .

(٧) هكذا فى ر ، وفى الأصل : عبدان ، وهو تحريف .

ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع فى بنى الحارث بن الخزرج .

ونزل الزُّبَيْر بن العوَّام وأبو سَبْرة بن أبى رُهْم على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحة بن الجُلاح فى بنى جَحْجَبى[١] .

ونزل مصعب بن عُمَيْر بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان الأشهلى فى بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبى حذيفة وعتبة بن غزوان المازنى على عبَّاد بن بشر بن وَقْش فى بنى عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفَّان على أوس بن ثابت أخى حَسَّان بن ثابت فى بنى النَّجَّار .

ونزل العُزَّاب على سعد بن خَيْثَمَة وكان عَزَبًا .

ولم يَبْق بمكة أحد من المسلمين إلا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعلى[٢] ، أقاما مع رسول الله ﷺ بأمره . وحُبِس قوم كرهاً ، حبسهم قومهم ، فكتب الله لهم أجر المجاهدين بما كانوا عليه/من حِرْصهم على الهجرة . ٣١ و

فلما رأت قريش أن المسلمين قد صاروا إلى المدينة ، وقد دخل أهلها فى الإسلام قالوا هذا شر شاغل لا يُطاق . فأجمعوا أمرهم على قَتْل[٣] رسول الله ﷺ ، فبيَّتوه ، ورصدوه على باب منزله طول ليلتهم ليقتلوه إذا خرج . فأمر النبى ﷺ علىَّ بن أبى طالب أن ينام على فراشه ، ودعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُعمِّى عليهم أثره ، فطمس الله على أبصارهم ، فخرج وقد غشيهم النوم ، فوضع على رُءوسهم تراباً ونهض[٤] . فلما أصبحوا خرج عليهم علىٌّ

---

(١) جحجبى : جد أحيحة ، وكانت دارهم التى نزلها الزبير وأبو سلمة تسمى العصبة كهمزة وكانت بقباء .

(٢) وأيضًا إلا من حبس كرهاً كما سيذكر ابن عبد البر ، وإلا من فتن عن دينه الحنيف .

(٣) فى ابن هشام وغيره من كتب السير أن قريشًا لما رأت الرسالة النبوية تشيع فى العرب ، ورأوا خروج أصحابه إلى المدينة خشوا عاقبة ذلك ، وخاصة أن المدينة كانت فى طريق قوافلهم التجارية إلى الشام ، فتداعوا للاجتماع بدار الندوة كى يتشاوروا فيما يصنعون بالرسول ، ويقال إن أبا البخترى بن هشام أشار بحبسه ، وأشار أبو الأسود ربيعة بن عمير بإخراجه ونفيه . ورفض المجتمعون الرأيين ، واتفقوا على قتله وأن تقوم بذلك مجموعة من قريش تتألف من كل عشيرة فيها ، بحيث تتذبذب عنها شابًا فتيًا ، ويعمدون إليه فيضربونه بسيوفهم - شَلَّت أيديهم - ضربة رجل واحد ، وبذلك يتوزع دمه فى جميع العشائر . فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم .

(٤) فى بعض الروايات أن الرسول كان يحثو على رءوسهم التراب وهو يتلو الآيات الأولى من سورة يس حتى قوله تعالى : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) .

وأخبرهم أن ليس فى الدار ديّار ، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد فات ونجا[١] .

وتواعد رسول الله ﷺ مع أبى بكر الصِّدِّيق للهجرة ، فدفعا راحلتيهما إلى عبد الله ابن أرقط ، ويقال ابن أُرَيْقط ، الدِّيلىّ ، وكان كافرًا لكنهما وثقا به ، وكان دليلا بالطرق ، فاستأجراه ليدلَّ بهما إلى المدينة* .

خروج رسول الله ﷺ للهجرة[٢]

وخرج رسول الله ﷺ من خَوْخَةٍ[٣] فى ظهر دار أبى بكر التى فى بنى جُمح ، ونهضا نحو الغار فى جبل[٤] ثَوْر** .

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى ما كانت تبيته قريش من قتل الرسول فى قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقوله جلَّ شأنه : (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) .

* جاء فى الصحيح أنه كان هاديًا خِرِّيتا ، قلت : يؤخذ من ذلك جواز الاعتماد على الكافر فى الأمور الخطيرة إذا غلب على الظن أنه لا يخون ، كالاعتماد على الكافر فى الكحل ، وعلى النصارى فى الطب والكتابة والحساب ونحو ذلك ما لم تكن ولاية فيها عز ، فلا يجوز الاعتماد عليهم فيها . ولا يلزم من مجرد كونه كافرًا أن لا يوثق به فى شىء ، فإنه لا شىء أخطر من الدلالة فى الطرق ، ولا سيما فى مثل الهجرة ، ومع ذلك فقد اعتمد فيها على هذا الدليل وهو كافر ، وحمدت العاقبة فى ذلك والحمد لله . والخريت : الحاذق الذى يعرف مضايق الطرق ولو مثل خرت (ثقب) الأبرة . وجاء فى بعض الطرق : فأخذ بهم يد بحر أى طريق الساحل . وجاء أن النبى ﷺ قال لأبى بكر : لا أركب الراحلة إلا بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله . وقال بعض أهل العلم : قد يورد أن أبا بكر أنفق على النبى ﷺ ماله كله ، وقال عليه السلام : إن آمنكم على فى ماله أبو بكر . فما وجه كونه امتنع أن يركب الراحلة إلا بالثمن وأجيب أنه عليه السلام أراد أن تكون هجرته لله بنفسه وبماله ، لا يستعين فى ذلك بالخلق . استحسنه السهيلى [انظر الروض الأنف ٣/٢] . ويقويه عندى أنه عليه السلام قال فى المربد الذى اتخذه مسجدا : لا آخذه إلا بالثمن . ولم يقل ذلك فى منزل أبى أيوب . ويحتمل عندى أن يكون إنفاق أبى بكر على النبى ﷺ من ماله انما أريد به الانفاق فى سبيل الله لأجل رسول الله ومواساة أصحابه عليهم السلام لمكانهم منه عليه السلام ، ولا يريد الإنفاق عليه فى ذاته ولا فى قوام حياته ، فلهذا أعطاه ثمن الراحلة .

(٢) انظر فى هجرة الرسول إلى المدينة ابن هشام ١٢٣/٢ وابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٣ وصحيح البخارى ٥٦/٥ والطبرى ٣٧٥/٢ وما بعدها وأنساب الاشراف ١٢٠/١ وابن سيد الناس ١٨١/١ وابن حزم ص ٩٠ وابن كثير ١٧٤/٣ والنويرى ٣٣٠/١٦ .

(٣) الخوخة : ممرّق ما بين كل دارين .

(٤) جبل ثور بأسفل مكة .

** وروى أنه عليه السلام رقى على ثبير فقال له : يا محمد انزل من على ظهرى لئلا تقتل على ، فأعذب ، فناداه حراء : يا رسول الله إلىّ إلىّ . وقيل إن ثوراً ناداه أيضاً . فكان غار النعمد فى حراء وغار =

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمَّع ما يقول الناس ، وأمر مولاه عامر بن فُهيْرة أن يَرْعى غنمه ويُريحها عليهما ليلا ، ليأخذا منها حاجتهما . ثم نهضا فدخلا الغار ، وكانت أسماءُ بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام ، ويأتيهما عبد الله بن أبي بكر بالأخبار ، ثم يتلوهما عامر ابن فُهيْرة بالغنم فيعفِّى آثارهما .

فلما فقدته[١] قريش جعلت تطلبه بقائف[٢] معروف ، فقفا[٣] الأثر حتى وقف على الغار ، فقال : هنا انقطع الأثر . فنظروا فإذا بالعنكبوت قد نُسج على فم الغار من ساعته ، فلما رأوا نَسْج العنكبوت أيقنوا أن لا أحد فيه ، فرجعوا . وجعلوا في النبي ﷺ مائة ناقة لمن ردَّه عليهم . وقد رُوِى من حديث أبي الدَّرداء وثوبان :

أن الله عزَّ وَجلَّ أمر حمامة فباضَتْ على نَسْج العنكبوت ، وجعلت ترقد على بيضها ، فلما نظر الكفَّار إليها على فم الغار ردَّهم ذلك عن الغار* .

حدثنا أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا الحارث بن أبي أسامة . وحدثنا سعيد بن نصر ، قال : أنبأنا قاسم بن أصبغ ، قال : أنبأنا محمد بن إسماعيل الترمذي ، قالا : أنبأنا عفان ، قال : أنبأنا همام ، قال : أخبرنا ثابت عن أنس أن أبا بكر حدَّثه ، قال :

قلت للنبي عليه السلام ونحن في الغار : لو كان أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه ، فقال : يا أبا بكر : ما ظنُّك باثنين ، الله ثالثهما** .

فلما مضت لبقائهما في الغار ثلاثة أيام أتاهما عبد الله بن أُرَيْقِط براحلتيهما وأتتهما أسماءُ

= التستر في ثور ، وكان لها فضيلة الإيواء واحتمال الخطر في ذات الله بخلاف ثبير فإنه خاف على نفسه . فهذان الجبلان فاز بالكرامة وثبير طلب السلامة .

(١) فقدته : أي الرسول ﷺ . (٢) القائف : متتبع الأثر

(٣) قفا : تبع

* قلت : وجاء في الأثر أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين اللتين وكرتا على فم الغار ، فلذلك احترم حمام الحرم ، وهو من جنس قوله تعالى : (وكان أبوهما صالحاً) وقيل جدهما السابع ، فحفظ الله الأعقاب ، رعاية للأسلاف ، وإن طالت الأحقاب .

** وتمادت الرافضة على الصفاقة والمكابرة ، فقالوا ، ما نهى أبو بكر عن الحزن إلا وهو معصية [يشيرون بذلك إلى ما جاء في الذكر الحكيم من قول الرسول له : [لا تحزن إن الله معنا] ونقض عليهم السهيلي [في ٢/٥] قولهم بقول الله تعالى لأنبيائه [في السهيلي لمحمد] : (فلا يحزنك قولهم) (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) [وقال لموسى : [خذها ولا تخف] وقال الملائكة للوط : (لا تخف ولا تحزن) . والتحقيق أن النهي إنما يتناول المستقبل ، =

بسُفْرتهما[١] ، وكانت قد شَقَّت نطاقها فربطت بنصفه السفرة ، وانتطقت النصف الآخر ، ومن هنا سميت ذات النِّطاقين * .

فركبا الراحلتين ، وأَردف أَبو بكر عامر[٢] بن فهيرة ، وحمل أَبو بكر مع نفسه جميع ماله ، وذلك نحو ستة آلاف درهم ** . فمروا فى مسيرهم بناحية موضع سراقة بن مالك بن جُعْشُم . [فنظر إليهم فعلم أنهم الذين جعلت فيهم قريش ماجعلت لمن أتى بهم][٣] فركب فرسه ، وتبعهم . ليردّهم بزعمه . فلما رآه رسول الله ﷺ دعا عليه ، فساخت يدا فرسه فى الأَرض ، ثم استقلَّ ، فأَتبع يديه دخان . فعلم أنها آية ، فناداهم : قِفوا علىّ وأَنتم آمنون . فوقف رسول الله ﷺ حتى لحق بهم . ثم همَّ به فساختْ يدا فرسه فى الأَرض ، فقال له : ادْعُ الله لى فلن ترى منى ما تكره . فدعاله ، فاستقلت فرسه . ورغب إلى رسول الله ﷺ أَن يكتب له كتابًا[٤] ، فأَمر أَبا بكر ، فكتب[٥] له ***

- وفى المستقبل ما دفع الحزن ، بل الواقع فى الاستقبال الطمأنينة والسكينة والفرح . [و] ورد عن عائشة أنها قالت عن أبيها فى يوم الهجرة حين علم من الرسول أنه مهاجر معه : ما علمت أن أحداً يبكى من شدة الفرح حتى رأيت أبا بكر (حينئذ) يبكى من شدة الفرح . ثم كان من آثار المعية الإلهية لرسول الله ﷺ وأبى بكر أنه يقال إلى الأبد : قال رسول الله ، وقال خليفة رسول الله . فالله يذكر معهما وليس ذلك لأحد غيرهما .

(١) السفرة : الزاد .

* قنت : النطاق فى اللغة كالإزار : ثوب تلبسه المرأة ، ثم تشد وسطها ، ثم ترسل الأعلى على الأسفل . قال الهروى : وبه سميت أسماء ذات النطاقين ، لأنها كانت تطارق بين نطاقين مبالغة . وقيل : بل كانت تلبس أحدهما ، وتحمل الزاد لرسول الله ﷺ فى الآخر إلى الغار . والتفسير الذى ذكر فى السيرة (النبوّية) قريب من هذا .

(٢) فى ر : مع عامر .

** راحلة النبى ﷺ التى اشتراها من أبى بكر هى الجدعاء ، وهى غير العضباء . وجاء فى حديث أنه عليه السلام ذكر أن ناقة صالح تحشر معه - أى فيركبها والله أعلم . - فقال رجل : يارسول الله وأنت على العضباء ، فقال : لا فاطمة على العضباء وأنا على البراق ، وهذا - وأشار إلى بلال - على ناقة من نوق الجنة [انظر الروض الأنف ٣/٢] . واعلم أن العضباء اسم علم ولم تكن معضوبة الأذن .

(٣) زيادة من ر

(٤) كتاباً : أى كتاب أمن ، وكأنه وقع فى نفس سراقة أن سيظهر أمر الرسول ، وكان لقاؤه له - كما قال أصحاب السير - بقديد ، إذ اتخذ الرسول إلى المدينة طريق الساحل .

(٥) فى بعض الروايات أن الذى كتب له هذا الكتاب عامر بن فهيرة .

*** أصل الجعشم [يشير إلى اسم جد سراقة] لغة المنتفخ . ويقال إنه عليه السلام وعد سراقة حينئذ أن يلبسه الله تاج كسرى وسواريه . فعجب من ذلك . فأنجز الله وعده على يد عمر رضى الله عنه ، وذلك أن عامله على المدائن وجد فيها صنماً فى بعض بيوت كسرى عاقداً صورة واحد وأربعين مشيراً بأصبعه إلى الأرض . فقال : ما هذه الإشارة إلا لشىء ، فاحتفر تحته ، فإذا سقط فيه تاج كسرى وسواراه ونحو ذلك . فبعث به إلى عمر مختوماً ، وقال : هذا مما لم يؤخذ=

ثم مرّوا[1] على خيمة أُمِّ معبد ، فكان من حديثها [فى قصة[2] شاتها] ما هو منقول مشهور عن الثقاة * ، ونهضوا قاصدين على غير الطريق المعهودة . وقد وصف بعض أهل السير مراحله يوماً فيوماً ، ولم أَرَ لذكرها وجهاً .

- غلبة بخيل ولا ركاب ، وقد بعثه لأمير المؤمنين يختص به . فرأى عمر تلك الليلة كأن نارًا أججت ، وكأنه يراد عليها ويستعيذ بالله ، فأمر بالسفط ، فوضع بخاتمه فى بيت المال واستدعى العامل من العراق ، قال : فصادفت عمر يطوف فى أهل الصدقة فطفت معه إلى أن ارتفع النهار ، ثم عاد إلى منزله فدعا بماء ، فاغتسل واغتسلت ، ثم قدمت له صحفة فيها طعام غليظ ، فأكل ، وجعلت آكل ، فلا أسيغ ذلك الطعام ، وقد كنت اعتدت درمك العراق إذا وضعته فىّ سبقنى إلى بطنى ، ثم فرغ ودعا بالسفط ، وقال : أتعرف ختمك ؟ فقلت : هو هذا . فحكى لى القصة . ثم دعا سراقة بن مالك بن جعشم وكان طوالا جدًا ، فألبسه حلة كسرى وتوجه بتاجه وسواره بسواره ثم قال : الحمد لله الذى ألبس تاج عدو الله لسراقة . . قال السهيلى [الروض الأنف ٦/٢] : وكان سراقة أعرابيًا جلفاً بوالا على عقبيه . ثم قسم عمر ذلك بين المسلمين . وكان مما قوم بمال عظيم لما فيه من الجواهر . وما ندرى هل كان عمر سمع بوعد النبى ﷺ أم وافق ذلك خاطره ، وكان محدثًا (ملهماً) رضى الله عنه موفقاً رحمه الله .

(١) واضح أن ابن عبد البر يقدم لقاء الرسول لسراقة على قصة أم معبد ، وأكثر أهل السير يؤخرون هذا اللقاء إلى ما بعد قصتها ، وربما قدمه ابن عبد البر لأنه ورد فى الحديث الصحيح الوثيق بخلاف قصة أم معبد فلم ترو عند البخارى ولا عند مسلم . وأم معبد هى عاتكة بنت خالد إحدى بنى كعب من خزاعة ، كان منزلها بقديد ، حيث أخذ الرسول كما أسلفنا طريق الساحل . وانظر قصتها فى كتب السيرة والاستيعاب ص ٧٩٦ وقد نقلها المعلق عنه .

(٢) زيادة من ر .

* قلت : ونحن نذكر حديث أم معبد ، فلا غنى عن ذكره فى هذا الموطن :

مر النبى ﷺ وأبو بكر ودليلهم على خيمتى أم معبد فى طريق هجرته . وكانت أم معبد برزة (تظهر للناس وتلقاهم) جلوة تحتبى (تجلس مؤتزرة بثيابها) بفناء القبة وتسقى وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً يشترونه منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً وكان القوم مرملين مسنتين فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة ، فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلباً (لبناً يُحلب) فاحلبها . فدعا بها رسول الله ﷺ ، فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله عز وجل ، ودعا لها فى شاتها ، فتفاجت عليه ودرت واجترت . ودعا بإناء يربض الرهط حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقا أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم ﷺ ثم أراضوا . ثم حلب فيه ثانياً بعد بدء ، حتى ملأ الإناء . ثم غادره عندها ، ثم بايعها [على الإسلام] ثم ارتحلوا عنها فقلّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزًا عجافا (هزيلة) تشاركن هزلا بمخهن قليل . فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا والشاة عازب حيال (لا تدر) ولا حلوب [شاة مدرة] فى البيت ؟ قالت : لا والله إلاّ أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا . فقال : صفيه لى يا أم معبد . فقالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه نحلة [وفى الاستيعاب والمصادر الأخرى : ثجلة وهى ضخم البطن] ولم تزر به صعْلة ، وسيمًا قسيمًا ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره [شعر أجفانه] عطف [هكذا فى الاستيعاب] أو عطف ، وفى صوته صحل ، وفى عنقه سطع [طول] وفى لحيته كثاثة ، أزج] دقيق الحاجبين فى طول [أقرن] [مقرون الحاجبين] إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سما وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب ، حلو المنطق ، فصل [محكم] لا نزر ولا هدر كأنما منطقه -

وعَبَروا على عُسْفان ، وهو وادٍ تعتسفه السيول ، وكان مأوى الجُذَماء قديماً ، ويقال إنه عليه السلام أسرع [فى] مشيه حين سلكه ، وقال : إن كان من العلل شىء بعدى فهذه العلة ، نعوذ بالله من كل سوء .

ولما أتوا إلى موضع يسمَّى العَرْج [على نحو ثمانين ميلا من المدينة] وقف بهم بعض

= خرزات نظم يتحدرن ، ربعة ، لا بائن من طول ولا تقتحمه عين من قصر . غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدرًا له رفقاء يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله ، أو أمر تبادروا لأمره ، محشود ، محفود ، لا عابس ولا مفند (لايخطأ رأيه) . قال أبو معبد : هو والله صاحب قريش . لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا . فأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه ، وهو يقول :

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلاها بالهُدى فاهتدت به ... فقد فاز من أمسى رفيق محمّد
فيا لقُصىّ ما زوى الله عنكمُ ... به من فعال لا تجارَى وسُؤْدَد
ليهْن بنى كعب مكانُ فتاتهم ... ومقعدها للمؤمنين بمرْصد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبتْ ... له بصريح ضرّه الشاة مُزْبد
فغادرها رهْناً لديها لحالب ... يردّدها فى مصدر ثم مورد

تفسير غريبه : البرزة : المسنة التى برزت ولم تتحدر لسنها ، وقال بعضهم : البرزة الجليلة الكريمة مسنة أو غيرها . وكذلك البرز : الكامل المبرز فى الأوصاف الحسنة . مرملين : نفد زادهم . ومسنتين : أصابتهم السنة أى الجدب . وروى مشتين دخلوا فى الشتاء ، وحينئذ يقل الطعام عند العرب . كسر الخيمة : جانبها . تدحّت : فتحت ما بين رجليها وتحجحت . ويربض الرهط : يرويهم حتى يثقلوا فيركضوا . والرهط : إلى العشرة . والبهاء : وميض الرغوة . وأرفضوا : من قولهم أرفاض الوادى إذا روى واستنقع الماء فيه . والشاء عازب : أى بعيدة عن المرعى . وأبلح : مضىء الوجه . والسحلة : الدقة . والضعلة : انتفاخ الأضلاع . وقيل : الدقة ، وقيل صغر الرأس . واختير فى هذه الكلمة فتح العين ، ذكره الهروى . والوسيم : القسيم الحسن الجميل . والدعج : سواد العين ، والعطف بالمعجمة طول الأشفار ولم يعرفه الزياشى بغير المعجمة . وفى رواية : وفى أشفاره وطف أى طول أيضاً . والصحل : بحة لطيفة مليحة تنكسر بها حدة الصوت . وسما : علا برأسه أو بيده . لا نزر ولا هذر [هكذا بالذال وفى الاستيعاب بالذال ، والخذر : الكلام فيه فضول] لا قليل جدًّا ولا كثير جدًّا ، بل وسط . ومحشود : تحشد إليه الناس ويألفونه . محفود : مخدوم [قالا : نزلا وقت القيلولة . زوى : صرف] والصريح : الخالص . والضرة : لحمة الضرع ، وقال الهروى : أصل الصرع والله أعلم . [وقد روى الشطر الأخير فى الأبيات هكذا : تدر لها فى مصدر ثم مورد . وتابع المعلق الاستيعاب فى روايته] .

وفى هذا الحديث من الفقه : أنه لا يسوغ التصرف فى ملك « الغير » ولو لإصلاحه وتنميته إلا بإذن صاحبه . ولهذا استأذنها (الرسول) فى إصلاح شأنها . وفيه لطيفة عجيبة ، وهى أن اللبن المحتلب من الشاة المذكورة لابد أن يفرض مملوكاً . والملك ههنا دائر بين صاحبة الشاة وبين النبى ﷺ ، ولهذا قسم اللبن . وأشبه شىء بذلك المساقاة ، فإنها تكرمة للأصل وإصلاح بحر (بخالص) من الثمرة ، وكذلك فعل النبى ﷺ كرم الشاة وأصلحها بحر من اللبن . ويحتمل أن يقال إن اللبن مملوك للنبى ﷺ ، وسقاها تفضلا لأنه ببركته كان ، وعن دعائه وجد . والفقه الأول أدق وألطف . وفى -

ظَهْرهم [إبلهم] فألفوا رجلا من أسلم يقال له أوس بن حَجر . فحمل رسول ﷺ على جمل له ، وبعث معه غلاماً له يُقال له مسعود بن هُنَيْدة ليردّه إليه من المدينة ، فاحتملوا[1] إلى بطن رِئْمٍ حتى نزلوا بقُباء ، وذلك يوم الاثنين ضحى – وقد قيل عند استواء الشمس – وذلك/ لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول * ٣٧ و

وأول من رآه رجل من اليهود ، وكان أكثر أهل المدينة قد خرجوا ينظرون إليه ، فلما ارتفع النهار وقَلِصَت الظِّلال واشتد الحر يئسوا منه فانصرفوا . ورآه رجل من اليهود وكان فى نَخْلٍ[2] له فصاح بأعلى صوته : يا بنى[3] قَيْلَة هذا جَدُّكم قد جاء – يعنى حظكم – فخرجوا وتلقوه ودخل معهم المدينة . فقيل إنه نزل على سعْد بن خَيْثَمة ، وقيل إنه نزل على كلثوم بن الهِدْم ، ونزل أبو بكر على خُبَيْب بن إساف وقيل : بل نزل على خارجة بن زيد ابن أبى زهير وكلاهما من بنى الحارث بن الخزرج . وكان فيمن خرج لينظر إليه قوم من اليهود وكان فيهم عبد الله بن سلام ، قال عبد الله بن سلام : فلما نظرت إليه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فكان أول ما سمعت منه : أيها الناس أفْشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرْحام ، وصَلُّوا بالليل والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام .

وأقام علىٌّ بمكة رضى الله عنه بأمر رسول الله ﷺ حتى أدَّى ودائع كانت عنده ﷺ أمره بأدائها إلى أهلها ثم يلحق به ، ففعل علىٌّ ذلك ، ثم لحق بالمدينة ، فنزل مع النبى صلى الله عليه وسلم بقُباء . فأقام رسول الله ﷺ أيامًا[4] ، وأسس مسجدها[5] وهو ٣٧ ظ

= الشعر لطيفة عجيبة ، وهى قوله : رفيقين ، وكانوا ثلاثة ، ولكنه أسقط ذكر الدليل ، لأنه كان كافرًا لم يدخل فى الدعوة . والله أعلم . وقيل إن شاة أم معبد هذه استمرت بهذه الصفة ، واستقرت فيها البركة . سئل بعض الصحابة فقيل له : ترى آستمرت شاة أم معبد على هذا ؟ فقال : نعم أنا رأيتها تأدم أم معبد والصرم (الحى) الذى هى فيه بجملتهم . والله أعلم . [وانظر فى هذا الحديث ابن سعد ج ١ ق ١ ص ١٥٥]

(١) احتملوا : رحلوا .

* وقد قيل غير ذلك على ما ذكر ابن عبد البر فى صدر كتاب الصحابة (انظر الاستيعاب ص ١٣) .

(٢) ذكر بعض أصحاب السير أنه كان على سطح أطمه (حصنه) .

(٣) بنو قيلة : هم الأوس والخزرج .

(٤) اختلف الرواة فى عدد الأيام التى أقامها الرسول فى قباء حيث لحق به علىّ ، فقيل أربعة وقيل أربعة عشر ، وقيل اثنان وعشرون .

(٥) مسجدها : أى مسجد قباء .

أول مسجد أُسِّس على التقوى*

ثم خرج منها راكباً ناقته ، متوجهاً حيث أمره الله ، فأدركته الجمعة فى بنى سالم [بن عوف] فصلاَّها فى بطن الوادى[١] ، فخرج إليه رجال من بنى سالم ، منهم العباس بن عُبادة وعِتْبان بن مالك ، فسألوه أن يترل عندهم ويقيم ، فقال : خلُّوا الناقة[٢] فإنها مأمورة . ونهض الأنصار حوله حتى أتى [دور] بنى بياضة ، فتلقاه زياد بن لَبيد وفَرْوة بن عمرو فى رجال منهم / فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال عليه السلام : دعوا الناقة ٣٨ و
فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى [دور] بنى ساعدة ، فتلقاه سعد بن عُبادة والمنذر بن عمرو ورجال من بنى ساعدة ، فدعوه إلى النزول والبقاء عندهم ، فقال ﷺ : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى حتى أتى دوربنى الحارث بن الخزرج ، فتلقاه سعد بن الربيع وخارجة بن زيد وعبد الله بن رَواحة ، فدعوه ﷺ إلى البقاء عندهم ، فقال : دَعوا الناقة فإنها مأمورة . ومضى ﷺ حتى أتى دور [بنى] عدى بن النجّار وهم أخوال عبد المطلب ، فتلقَّاه سَلِيط بن قيس وأبو سليط يُسَيْرة[٣] بن أبى خارجة ورجال من بنى عدى بن النجار ، فدعوه إلى النزول عندهم والبقاء ، فقال : دعوها إنها مأمورة .

ومضى ﷺ حتى أتى دور بنى مالك بن النجار ، فبركت الناقة فى موضع مسجده ﷺ ، وهو يومئذ مِرْبد تَمْرٍ لغلامين يتيمين من بنى مالك بن النجار وهما : سهل وسهيل ، وكانا فى حِجْر معاذ بن عفْراء ، وكان فيه وحواليه نَخْلٌ وخِرَبٌ وقبور للمشركين ، فبركت الناقة ، فبقى عليه السلام على ظهرها لم يترل ، فقامت ومشت قليلا

---

* قال الله سبحانه وتعالى (من أول يوم) [فى الآية الكريمة : لمسجد أُسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه] . قال السهيلى : [الروض الأنف ١١/٢] : فيه تعريض بأن التاريخ المختص بهذه الأمة يكون مبدؤه الهجرة ، وفيه أيضاً تصويب لذلك ، لأنه تعالى قال : (من أول يوم) ولا يريد سائر الأيام . وليس فى الآية ما يعين يوماً مخصوصاً ، فلم يبق إلا صرفه لما وقع بعد ذلك ، كأنه قال : من أول يوم من التاريخ . قلت : وهذا عندى تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأئمة المتقدمين ، فإنهم قدروه : من تأسيس أول يوم ، فكأنه قال : من أول يوم وقع التأسيس فيه . وهذا تقدير تقتضيه العربية وتشهد له الآية ، وتحققه استعمال هذا الكلام فيما ليس مبدأ للتاريخ مثل أن تقول : عمر بن عبد العزيز خليفة صالح من أول يوم ، أى من أول يوم خلافته ، وهلم جرا إلى أمثال ذلك .

(١) وادى بنى سالم ، وقيل إنه صلى فى وادى رانوناء . انظر ابن هشام ١٣٩/٢ .

(٢) وكان عليه السلام راكباً ناقته .

(٣) فى بعض الروايات : أسيرة .

وهو لا يهيجها ثم التفتت [خَلْفها] فكرَّت إلى مكانها وبركتْ فيه واستقرَّت ، فنزل عنها * / صلّى الله عليه [وسلم] . ٣٨ ظ

وقد قِيل إن جبَّار بن صخْر من بنى سَلِمة ، وكان من صالحى المسلمين ، جعل ينخسها منافسة على بنى النجار فى نزول رسول الله ﷺ عندهم ، فانتهره أَبو أَيوب على ذلك وأوعده . فلما نزل رسول الله ﷺ عن ناقته أخذ أبو أيوب رَحْله ، فحمله إلى داره . ونزل ﷺ دار أبى أيوب فى بيت منها : عُلِّيَّته[1] مسكن أبى أيوب . وكان أبو أيوب قد أراد أن يتزل له عن ذلك المسكن ويُسْكنه فيه ، فأبى رسول الله ﷺ . فلما كان بعد أيام سقط شىء من ماء أو غبار على رأس رسول الله ﷺ فى ذلك البيت ، فنزل أبو أيوب وأقسم على رسول الله وأبدى الرغبة له ليطلعن إلى منزله ويهبط أبو أيوب عنه . ففعل ذلك رسول الله ﷺ .

فلم يزل رسول الله ﷺ ساكناً عند أبى أيوب حتى بنى مسجده[2] ، وحُجَره ومنازل / أزواجه . ثم انتقل عنه إلى ما بنى فى ذلك المِرْبد . وكان رسول الله ﷺ قد سأل عنه ٣٩ و فقيل هو لغلامين ، فأراد شراءه ، فأبت بنو النجار من بيعه ، وبذلوه لله ، وعاوضوا اليتيمين بما هو أفضل . وقد رُوِىَ أن رسول الله ﷺ أبى أن يأخذه إلا بثمن ، والله أعلم * * .

---

* قلت : الحكمة البالغة من الله عز وجل فى إحالة الأمر على الناقة أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بالنزول عنده آية ومعجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ، ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيئاً . والله أعلم .

(١) واضح من السياق أن الرسول لما نزل فى بيت أبى أيوب نزل فى السفل وبقى أبو أيوب مع زوجه فى العلو . حتى إذا سقط الماء أو الغبار على الرسول فزع أبو أيوب وظل يتوسل إليه أن ينزل مع زوجه إلى السفل ويصعد الرسول مع أهله إلى العلو حتى أجابه .

(٢) ويقال إنه مكث فى دار أبى أيوب سبعة أشهر .

* * قلت : فيه ما يدل على جواز بيع عقار اليتيم وإن لم يكن محتاجاً للنفقة ، إذا كان فى البيع مصلحة ، إما للتعويض بما هو أولى ، وإما أن تدعو حاجة المسلمين إلى ذلك لبناء مسجد أو سور ونحوه . فتأمله . ونبش قبور المشركين وتعويض الأرض عنهم بتعبدات المسلمين وبركاتهم أصل فى جعل الكنائس المفتتحة مساجد وجوامع . وهى سنة المسلمين فيما يفتحونه من البلاد . وفيه دليل على طهارة المقابر الدوائر . والله أعلم .

[بناءُ مسجد رسول الله][١]

فَبَنَى رسول الله ﷺ مسجده ، وجعل عِضَادتيه[٢] الحجارة وسَواريه[٣] جذوع النَّخْل وسقْفه جَريدها بعد أن نبش قبور المشركين وسوَّاها وسَوَّى الخِرَب وقطع النخل وعمل فيه المسلمون حِسْبَةً .

٣٩ ظ وماتَ أبو أُمامة أسعد بن زُرارة فى الأَيام التى كان/رسول الله ﷺ يبنى [فيها] مسجده وبيوته[٤] ، فوجد[٥] عليه رسول الله ﷺ وجدًا شديدًا ، وقد كان كواه من ذُبْحة نزلت به ، وكان نقيباً فى بنى النجار ، فلم يجعل رسول الله ﷺ بعده عليهم نقيباً[٦] .

مؤاخاة رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأَنصار رضى الله عنهم أَجمعين[٧]

وآخى رسول الله ﷺ بعد بنائه المسجد بين الأنصار والمهاجرين . وقد قيل إن المؤاخاة كانت ، والمسجد يُبْنَى ، بين المهاجرين والأنصار على المواساة والحق ، فكانوا يتوارثون

---

(١) انظر فى بناء هذا المسجد ابن هشام ٢/١٤٠ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ وصحيح البخارى ١/٨٩ وما بعدها والطبرى ٢/٣٩٤ وابن سيد الناس ١/١٩٥ وابن كثير ٣/٣١٤ والنويرى ١٦/٣٤٤ وقد ظل الرسول فى بنائه من حين نزوله بالمدينة حتى شهر صفر من السنة الثانية للهجرة وبنى معه منازله ، وكانت مادة البناء اللبن . ووسعه عمر ، وبناه عثمان بالحجارة ، وتأنق الوليد بن عبد الملك فى بنائه بالفسيفساء والرخام على ما هو معروف مشهور .

(٢) عضادة الباب : جانب عتبته المنصوب عن يمين الداخل وشماله .

(٣) سوارى المسجد : أعمدته .

(٤) انظر فى بيوت الرسول الروض الأنف ٢/١٣ .

(٥) وجد : حزن .

(٦) ويقال إن الرسول قال لبنى النجار بعد وفاة أسعد : أنا نقيبكم فكانت من مفاخرهم .

(٧) انظر فى هذه المؤاخاة ابن هشام ٢/١٥٠ والمحبر لابن حبيب ص ٧١ وابن سعد ج ١ ق ٢ ص ١ والبخارى ١ : ٣١٥ . ٦٩ وابن سيد الناس ١/١٩٩ وابن كثير ٣/٢٢٦ والنويرى ١٦/٣٤٧ .

المشهور أن هذه المؤاخاة كانت بعد قدوم الرسول إلى المدينة بخمسة أشهر ، وكانوا تسعين رجلا : خمسة وأربعين من المهاجرين وخمسة وأربعين من الأنصار ، ويقال كانوا مائة : خمسين من المهاجرين وخمسين من الأنصار . وواضح من السياق أن هذه المؤاخاة كانت على الحق والمواساة والتوارث وسيذكر ابن عبد البر مؤاخاة تسبقها بين المهاجرين بعضهم وبعض ، وكانت على الحق والمواساة فقط دون التوارث .

بذلك دون القرابات حتى نزلت[١] : (وأُولُو الأَرْحام بعضُهم أَوْلى ببعض فى كتاب الله) .

روى أبو داود الطيالسى عن سليمان بن معاذ عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ، قال :

آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه : المهاجرين والأنصار ، وورث بعضهم من بعض ، حتى نزلت : (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض) .

وذكر سعيد بن داود ، قال : بلغنا وكتبنا عن شيوخنا أنه ﷺ :

آخى يومئذٍ بين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبى زهير ، وبين عمر بن الخطاب وعويم[٢] بن ساعدة ، قال : ويقال بين عمر بن الخطاب ومعاذ بن عفراء . قال : وقيل أيضاً بين عمر وعِتبان[٣] بن مالك ، وبين عثمان بن عفان وأوس بن ثابت ، وبين على بن أبى طالب /وسهل[٤] بن حنيف ، وبين زيد بن حارثة وأسيد[٥] بن الحُضَيْر ، وبين أبى مَرْثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين الزبير وكعب[٦] بن مالك ، وبين طلحة وأبى[٧] بن كعب ، وبين سعد [بن أبى وقاص] وسعد بن معاذ ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين أبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين عتبة بن غَزْوان وأبى دُجانة ، وبين مصعب ابن عُمَير وأبى أيوب ، وبين ابن مسعود ومعاذ[٨] بن جبل ، وبين أبى سَلمة بن عبد الأسد وسعد بن خَيْثَمَة ، وبين عمار وحذيفة [بن اليمان] ، وبين أبى عبيدة ومحمد[٩] بن ٤٠ و

---

(١) واضح أن الآية نسخت ما فرضته هذه المؤاخاة من التوارث ، أما ما وراءه من الحق والمواساة فقد ظلا قائمين .

(٢) فى ابن هشام : إن الرسول إنما آخى بين عويم بن ساعدة وحاطب بن أبى بلتعة .

(٣) هو قول ابن هشام ، وعتبان وخارجه بن زيد خزرجيان ، وكذلك أكثر هؤلاء المتآخين الأنصار من الخزرج .

(٤) فى ابن هشام إن الرسول آخى بين على ونفسه ، وسيعنى ابن عبد البر عما قليل برواية الأخبار الواردة فى ذلك .

(٥) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين زيد بن حارثة وحمزة بن عبد المطلب عمه . وتلك كانت مؤاخاة قديمة بينهما قبل الهجرة ، وسيذكرها ابن عبد البر فى آخر هذا الفصل .

(٦) فى ابن هشام أن الرسول آخى بين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وسنرى ابن عبد البر يأخذ بهذه الرواية .

(٧) فى ابن هشام : بين طلحة وكعب بن مالك . وسيأخذ ابن عبد البر بهذه الرواية .

(٨) فى ابن هشام : بين جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل .

(٩) فى ابن هشام : بين أبى عبيدة وسعد بن معاذ . وبذلك أخذ ابن عبد البر .

مسلمة ، وبين عثمان بن مظعون وأبى الهيثم بن التَّيهان ، وبين سلمان [الفارسى] وأبى الدرداء .

قال الحافظ ابو عمر رضى الله عنه :

ذكر هذا سُنَيْد ، ولم يسنده إلى أحد ، إلا أنه بلغه[1] . والصحيح عند أهل السير والعلم بالآثار والخبر فى المؤاخاة التى عقدها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى حين قدومه إلى المدينة أنه : آخى بين أبى بكر الصديق وخارجة بن زيد بن أبى زُهَيْر ، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك ، وبين عثمان بن عَفَّان وأوس بن ثابت بن المنذر أخى[2] حسان بن ثابت . وآخى بين على بن أبى طالب/ وبين نفسه ﷺ ، فقال له : ٤٠ ظ
أنت أخى فى الدنيا والآخرة .

حدثنا سعيد بن نصر ، قال : أنبأنا قاسم بن أَصْبغ ، قال : أنبأنا محمد بن وضاح ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن حجاج ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس :

أن النبى ﷺ قال لعلى : أنت أخى* وصاحبى .

أخبرنا محمد بن إبراهيم ، قال : أخبرنا محمد بن معاوية ، قال : أخبرنا أحمد بن شعيب ، قال : أخبرنا محمد بن يحيى بن عبد الله النيسابورى ، وأحمد بن عثمان بن حكيم ، قالا : حدثنا عمرو بن طلحة ، قال : أنبأنا أسباط ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس :

أن عليًا كان يقول : والله إنى لأخو رسول الله ﷺ ووليُّه .

حدثنا سعيد ، قال : حدثنا قاسم ، أخبرنا ابن وضاح ، قال : أخبرنا أبو بكر ،

---

(١) واضح أن ابن عبد البر يضعف رواية سنيد . على أنه أخذ ببعض روايته .

(٢) فى الأصل : أخا .

* قلت : ولا يلزم سنيدا احتجاج أبى عمر ، لأن المؤاخاة المتقدمة نسخت بآية المواريث وغيرها ، وهذه أخوة مؤنقة عامة بالإسلام ، وخاصة بأسباب غير المؤاخاة الأولى . وقد (آخاه) عليه السلام ، ولكن أخوة الإسلام ، وأبو بكر أيضاً أخو رسول الله بهذا الاعتبار .

[واضح من هذا التعليق أن صاحبه ينفى أخوة على للرسول فى تلك المؤاخاة التى عقدها بين المهاجرين والأنصار ، حتى لا يتعلق الشيعة بمثل هذا الخبر فى تفضيل علىً على أبى بكر . وفى بعض الأخبار أن مؤاخاة الرسول لعلى كانت فى المؤاخاة الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل هجرتهم . انظر ابن سيد الناس ١/ ٢٠٠]

قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن العلاء بن صالح ، عن المنهال ، عن عباد بن عبد الله ،
قال : سمعت عليًا/يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، ولا يقولها بعدى إلا كذَّاب مُفْتَرٍ . ٤١ و

وحدثنا سعيد ، قال : أنبأنا قاسم ، قال : أنبأنا محمد ، قال : أنبأنا أبو بكر ، قال : أنبأنا عبد الله بن نمير ، عن الحارث بن حضيرة ، قال : حدثنى أبو سليمان الجُهَنى يعنى زيد بن وهب ، قال :

سمعت عليًا يقول على المنبر : أنا عبد الله وأخو رسوله لم يقلها أحد قبلى ، ولا يقولها أحد بعدى إلاَّ كذاب مفتر .

وآخى بين جعفر بن أبى طالب وهو بأرض[١] الحبشة ومعاذ بن جبل ، وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع ، وبين الزبير وسلمة بن سلامة بن وقش ، وبين طلحة وكعب بن مالك ، وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ ، وبين سعد ومحمد[٢] بن مسلمة ، وبين سعيد بن زيد وأُبَىّ بن كعب ، وبين مصعب بن عُمَيْر وأبى أيوب ، وبين عمار وحذيفة بن اليمان حليف بنى عبد الأشهل ، وقد قيل بين عمار[٣] وثابت بن قيس ، وبين أبى حذيفة بن عتبة وعباد بن بشر ، وبين أبى[٤] ذَرّ والمنذر بن عمرو ، وبين ابن مسعود وسهل بن حنيف ، وبين سلمان الفارسى وأبى الدَّرْداء ، وبين بلال وأبى رُوَيحة الخثعمى حليف الأنصار ، وبين حاطب بن أبى بَلْتعة وعُوَيْم بن ساعدة ، وبين عبد الله بن جحش وعاصم بن ثابت ، وبين عبيدة[٥] بن الحارث وعمير بن الحُمام ، وبين الطفيل ابن الحارث أخيه وسفيان/بن بشر[٦] بن زيد من بنى جشم بن الحارث بن الخزرج ، وبين ٤١ ظ
الحصين بن الحارث أخيهما وعبد الله بن جبير ، وبين عثمان بن مظعون والعباس بن

---

(١) مرَّ بنا أن المؤاخاة عند سنيد كانت بين ابن مسعود ومعاذ بن جبل . وقد أنكر الواقدى مؤاخاة جعفر بن أبى طالب ومعاذ بن جبل لغيبة جعفر بالحبشة . انظر ابن سيد الناس ١/٢٠١ .

(٢) عند سنيد كما مر بنا أن المؤاخاة كانت بين سعد وسعد بن معاذ .

(٣) انظر فى ذلك ابن هشام نقلا عن ابن إسحق .

(٤) أنكر الواقدى هذه المؤاخاة لغيبة أبى ذر عن المدينة إلى ما بعد غزوة الخندق ، وأثبت مكانها مؤاخاة طليب بن عمير والمنذر بن عمرو .

(٥) ذكر ابن سيد الناس ١/٢٠١ - ٢٠٢ : أن ابن عبد البر انفرد بذكر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار الباقين ما عدا المؤاخاة بين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين أبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت .

(٦) اختلف الرواة هل هو بشر أو بشير أو نسر . انظر الاستيعاب ص ٥٧٤ .

عبادة ، وبين عتبة بن غزوان ومعاذ بن ماعص ، وبين صفوان بن بيضاء ورافع بن المعلى ، وبين المقداد بن عمرو وعبد الله بن رَواحة ، وبين ذى الشمالين ويزيد بن الحارث من بنى حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ، وبين أبى سلمة بن عبد الأسد وسعيد بن خيثمة ، وبين عمير بن أبى وقّاص وخُبَيْب بن عدى ، وبين عبد الله بن مظعون وُقْطبة بن عامر بن حَديدة ، وبين شَمَّاس بن عثمان وحنظلة بن أبى عامر ، وبين الأرقم بن أبى الأرقم وطلحة بن زيد الأنصارى ، وبين زيد بن الخطاب ومعن بن عدى ، وبين عمرو بن سُراقة وسعيد[1] بن زيد من بنى عبد الأشهل ، وبين عاقل بن البُكير ومبشر بن عبد المنذر ، وبين عبد الله بن مخرمة وفروة بن عمرو البياضى ، وبين خُنَيْس بن حذافة والمنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيْحَة بن الجُلاح ، وبين أبى سَبْرة بن أبى رُهْم وعبادة ابن الخشخاش[2] ، وبين مِسْطح بن أُثاثة وزيد بن المزَيَّن[3] ، وبين أبى مرثد الغنوى وعبادة بن الصامت ، وبين عكاشة بن مِحْصَن والمجذَّر بن ذياد البلوىّ حليف الأنصار ، وبين عامر/ بن فُهَيْرة والحارث بن الصِّمَّة ، وبين مِهْجَع مولى عمر وسراقة بن عمرو بن عطية من بنى غَنْم بن مالك بن النجار. ٤٢ و

وقد كان رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين بعضهم[4] وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة أيضًا ، فآخى بين أبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقّاص ، وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله[5] . فلما نزل المدينة آخى بين المهاجرين والأنصار على ما تقدم ذكرُنا له .

---

(١) فى الأصل : سعد ، وهو تحريف ، انظر الاستيعاب ص ٥٦٥ .

(٢) ضبطه الواقدى : الحسحاس بالحاء والسين المهملتين ، ويقال فيه عباد بن الخشخاش بدون هاء . انظر الاستيعاب ص ٤٢٥ .

(٣) هكذا ضبطه ابن عبد البر ، وضبطه بعض الرواة بكسر الميم وسكون الزاى وفتح الياء انظر ابن سيد الناس ٢٠٢/١ .

(٤) فى الأصل : آخى بين المهاجرين والأنصار وهو تحريف ينقضه الكلام التالى وما جاء فى نهاية الفقرة ، وقد احتفظ بها ابن سيد الناس فى ١٩٩/١ .

(٥) زاد ابن سيد الناس المؤاخاة بين الرسول وعلى بن أبى طالب .

(فرض الزكاة)[١]

ثم فرضت الزكاة - وأسلم عبد الله بن سلام وطائفة من اليهود .

[كفار اليهود والمنافقون][٢]

وكفر جمهور اليهود ، ونافق قوم من الأوس والخزرج ، فأظهروا الإسلام مداراة لقومهم من الأنصار وأبطنوا الكفر ، ففضحهم الله عَزَّ وجَلَّ بالقرآن .

وممن ذُكر منهم من بنى عمرو بن عوف أهل قُباء : الحارث[٣] بن سُوَيْد بن الصامت منافق وكان أخوه خلاَّد بن سويد من فضلاء الأنصار وكان أخوهما الخُلاَس بن سويد ممن اتُّهم بالنفاق لنَزْغَةٍ نزغ بها ثم لم / يظهر بعدُ منه إلا النصح للمسلمين والخير والصلاح ، ٤٢ ظ
ونَبْتَل[٤] بن الحارث ، وبِجاد بن عثمان بن عامر ، وأبو حبيبة بن الأزْعر وهو أحد الذين بنوا مسجد[٥] الضِّرار ، وعباد بن حُنَيْف أخو سهل بن حنيف ، وكان أخواه سهل وعثمان من فضلاء الأنصار وصالحيهم . وجارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومجمَّع . وقد قيل إن مجمع بن جارية لم يصح عنه النفاق ، بل صحَّ عنه الإسلام وحَمْل القرآن ، وإنما ذُكر منهم لأن قومه الذين بنوا مسجد الضِّرار اتخذوه إماماً فيه .

ومن بنى أُمية بن زيد : وَديعة بن ثابت وهو من أصحاب مسجد الضرار اتخذوه إماماً ، وبشر بن زيد وأخوه رافع بن زيد .

---

(١) اختلف الرواة فى أول وقت فرضت فيه الزكاة ، ورأى الجمهور أنها فرضت عقب الهجرة وبعد ما تم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وهو ظاهر قول ابن عبد البر : ثم فرضت الزكاة .

(٢) انظر فى هؤلاء الكفار والمنافقين ابن هشام ٢/ ١٦٠ وما بعدها ، وابن حزم ص ٩٧ وابن سيد الناس ١/ ٢٠٨ والنويرى ١٦/ ٣٥١ .

(٣) انضم إلى صفوف قريش فى يوم أحد وقتل المجذر بن ذياد البلوى ولحق بهم ، حتى إذا كان فتح مكة قتله الرسول بالمجذر قوداً .

(٤) هو الذى كان يقول إنما محمد أذن ، من حدّثه شيئاً صدقه ، وفيه نزلت الآية الكريمة (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن) .

(٥) بنى هذا المسجد اثنا عشر رجلا عند منصرف رسول الله من غزوة تبوك ، وقد أمر الرسول بإحراقه وهدمه ، وفيهم وفيه نزل قوله تعالى : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون) .

ومن النَّبيت من بنى حارثة : مِرْبَع بن قَيْظىّ ، وأخوه أوس[١] بن قَيْظى ، وحاطب ابن أمية بن رافع ، وكان ابنه يزيد بن حاطب من الفضلاء ، وقزمان حليف لهم قتل نفسه يوم أحد بعد أن أنكى فى المشركين[٢] .

ولم يكن فى بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة : رجل ولا امرأة ، إلا أن الضحاك بن ثابت اتُّهم بشىء ، لم[٣] يصح عليه .

ومن الخزرج من بنى النجار : رافع بن وَديعة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو[٤] بن قيس .

ومن بنى جُشم بن الخزرج : الجدّ بن قيس .

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبد[٥] الله بن أُبىّ بن سَلول كان رئيس المنافقين وكهفاً لهم يأوون إليه /وكان ابنه عبد الله بن عبد الله من صُلَحاء المسلمين وفضلائهم . ووديعة ، ٤٣ و
وسويد ، وداعس ومالك . وهؤلاء من القواقل . وقيس بن فهر ممن اتُّهم بالنفاق . والله أعلم .

وكان قوم من اليهود نافقوا بعد أن أظهروا الإيمان بالله ورسوله واستبطنوا الكفر ، منهم : سعد بن حُنَيف ، وزيد بن اللُّصَيْت[٦] ، ورافع بن حريملة ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وكِنانة بن صُورْيا .

---

(١) هو الذى قال للرسول ﷺ يوم الخندق : إن بيوتنا عورة فأذن لنا فلنرجع إليها ، فأنزل الله فيه : (يقولون إن بيوتنا عورة وما هى بعورة . . .) الآية .

(٢) ذُكر قزمان لرسول الله وهو ينكى فى الكفار فقال إنه من أهل النار ، فعجب أصحابه من قوله ، وسرعان ما جاءهم نبأ قتله لنفسه .

(٣) فى الأصل ور : لا .

(٤) زاد ابن هشام فى ٢/ ١٧٣ وغيره من المصادر على هذه المجموعة قيس بن عمرو بن سهل .

(٥) هو الذى قال فى غزوة بنى المصطلق : (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها .

(٦) هكذا : اللصيت بالتاء فى الأصل وفى ابن هشام وغيره من المراجع ، وضبطه ابن حجر فى الإصابة : اللصيب بالباء بدلا من التاء .

[مغازى رسول الله ﷺ وبعوثه][(١)]

غزوة وَدَّان[(٢)] ويقال لها غزوة الأَبْواء

وأقام رسول الله ﷺ داعياً بالمدينة إلى الله ومعلماً مما علَّمه الله باقى شهر ربيع الأول الشهر الذى قدم فيه المدينة وباقى العام كله إلى صفر من سنة اثنتين من الهجرة ، ثم خرج غازياً فى صفر المؤرخ ، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة ، حتى بلغ وَدَّان . فوادع[(٣)] بنى ضمرة بن عبد مَناة[(٤)] بن كِنانة ، وعقد[(٥)] ذلك معه سيدهم مخْشِىّ بن عمرو . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق حَرْباً . وهى أول غزوة غزاها بنفسه ﷺ .

---

(١) كان عدد غزوات الرسول التى خرج فيها بنفسه غازياً سبعاً وعشرين ، وقد قاتل بنفسه فى تسع منها هى : بدر ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف . وبلغ عدد بعوثه أو سراياه سبعاً وأربعين ، وقيل بل نحو أمن ستين . وفى اصطلاح الرواة وأصحاب السير أن الغزوة هى الحرب التى يحضرها الرسول بنفسه ، أما البعث أو السرية فإنه يرسل فيها طائفة من أصحابه . وأول آية نزلت فى الإذن بالقتال قوله تعالى : (أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلِمُوا وأن الله على نصرهم لقدير) . ونزل بعدها : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله) أى حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، وحتى يعبد الله ولا يعبد سواه ، فغزا الرسول وبعث البعوث والسرايا حتى دخل الناس فى دين الله أفواجًا .

(٢) انظر فى هذه الغزوة ابن هشام ٢٤١/٢ وابن سعد ج ٢ ق ١ ص ٣ وتاريخ الطبرى ٤٠٣/٢ وابن حزم ص ١٠٠ وابن سيد الناس ٢٢٤/١ وابن كثير ٢٤١/٣ والنويرى ٤/١٧ . وودَّان : قرية من نواحى الفرع على الطريق من المدينة إلى مكة ، ومثلها الأبواء .

(٣) وادع : صالح .

(٤) هكذا فى رواية ابن هشام ، وفى الأصل : مناف ، وهو تحريف .

(٥) عقد : أى عقد المصالحة وكتبها ، وكانت على أن لا يغزوه بنو ضمرة ولا يغزوهم ولا يكثروا عليه جميعاً ولا يعينوا عدوًّا .